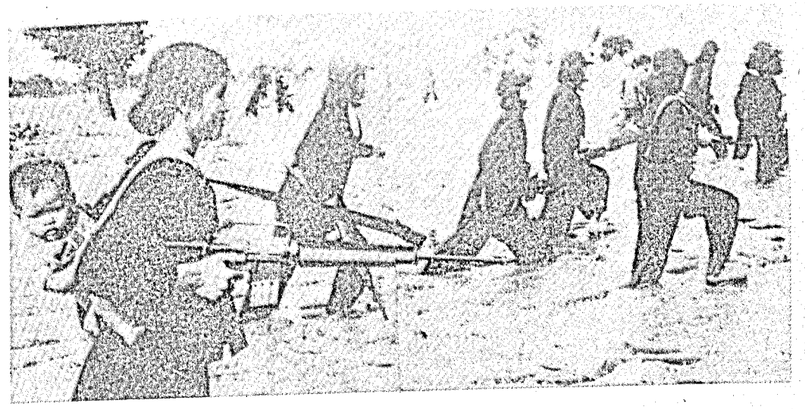

الكمبوديون الحمر يرفعون اعلام التحرير في فنوم بنه

خمس سنوات كمبودية :

من الغزو الامبريالي الاميركي الى الهزيمة الامبريالية الاميركية

لقد تلاحمت القوى الثورية الوطنية والاشتراكية في كمبوديا لمواجهة المؤامرة الامبريالية الاميركية على اثر الانقلاب العسكري الرجعي على الامير سيهانوك، الذي نصب في السلطة العملاء الاميركيين في خدمة الحرب العدوانية الاميركية ضد الشعب الفيتنامي في الجنوب ، وذلك في اذار سنة ١٩٧٠ . وعلى اثر الغزو الاميركي لكمبوديا في ربيع العام نفسه تطور هذا التلاحم بتشكيل الجبهة المتحدة الكمبودية ، توحيدا للقوى من اجل مقاومة هذا الغزو ومقاومة نظام الحكم العميل في فنوم بنه ، وتشكيل حكومة المنفى بالرئاسة الرمزية ــ على ما بدا اخيرا ــ للامير سيهانوك ، والقيادة الفعلية ، على ما يبدو الان ايضا ، لكيو سامفان السياسي الاشتراكي الذي كان ملاحقا في وقت من الاوقات ، من قبل الامير سيهانوك نفسه .

من هو سامفان ؟

لقد كان كيو سامفان (من مواليد سنة ١٩٣١) من ابرز المناضلين ضد الاستعمار الفرنسي وعنصرا بارزا في الحركات الوطنية المناهضة للاستعمار في كمبوديا . تلقى علومه العالية في القانون وعلم الاقتصاد في جامعة باريس في فرنسا ، ويحمل شهادة دكتور في الاقتصاد . واثر عودته الى فنوم بنه في سنة ١٩٥٩ ، انشا مجلة « الاوبزرفاتور » باللغة الفرنسية ، وتولى ادارة التوجيه السياسي فيها ، وكانت منبرا للدعوة الاشتراكية ، الامر الذي استثار سيهانوك ضده وجعله عرضة للمضايقات وللملاحقة وللاعتقال من وقت لآخر .

ورغم ذلك لم يمنع سامفان من خوض معركة انتخابية في الستينات ، نجح فيها عضوا في الجمعية الوطنية ، كعضو في الحزب الوطني ــ الذي يترأسه سيهانوك ــ كما انه اختير وزيرا للتجارة لفترة قصيرة اكتسب خلالها شعبية واسعة اثارت مخاوف الامير الذي ارغمه على الاستقالة . ولكن هذا لم يوقف نشاط سامفان السياسي . وفي سنة ١٩٦٧ ترك حزب سيهانوك بعدما ادانه الامير علنا في مهرجان بوذي واتهمه العنصر المحرك لانتفاضة فلاحية في اقليم باتامبانغ . ويومذاك اختفى كل اثر له . فقد التحق بالحركة الثورية السرية الكمبودية (حركة الخمير الحمر) الناوئة لسيهانوك ، حيث وضع كفاءاته الاقتصادية والتنظيمية في خدمة انشاء قوات ثورية مسلحة ، وانشاء قاعدة اقتصادية لتزويد هذه القوة الثورية النامية في المناطق الخاضعة لسيطرة الثوار . وفقط من بعد الاطاحة بالامير سيهانوك في سنة ١٩٧٠ ، عاد سامفان ليعلن تاييده لحركة سيهانوك المقاومة للانقلابيين العملاء وللغزو الاميركي . والتقى الخصمان على هذه الارضية الواحدة ، لمواجهة العدو المشترك ، ولكن سيهانوك بقي على رأس حكومة المنفى رمزا للوحدة الوطنية الكمبودية ، واحتفظ سامفان بمنصب نائب له ، ووزيرا للدفاع ، كما احتفظ بمنصب القائد العام لجيش التحرير الوطني لشعب كمبوديا . وتتفق التقارير المنشورة حتى الان ، على ان كيو سامفان هو الشخصية القيادية الاقوى والابرز على رأس الثورة الكمبودية .

من الغزو الى الهزيمة

لقد بدأت المقاومة الكمبودية لحكم لون نول وزمرته قبل تنفيذ الغزو الاميركي ، الذي وضعه نيكسون وكيسنجر في البدء كعملية عسكرية محدودة الهدف ومؤقتة ، الغرض منه « تطهير » تلك المناطق الكمبودية على الحدود المتاخمة لجنوب فيتنام ، من القوى الشيوعية الفيتنامية ، ومؤكدان بان الولايات المتحدة لن تواجه هناك « وضعا فيتناميا » آخر . ولكن مع نمو المقاومة الكمبودية وفشل « عملية التطهير » الاميركية في وقف استخدام الثوار الفيتناميون لطرق التموين التي تمر في اراضي كمبوديا ، تطور هذا « الغزو المحدود » الى طاولة المفاوضات للمساومة . وانطلق الاعلام الاميركي الامبريالي متحسبا لهزيمة الولايات المتحدة الوشيكة في كمبوديا ، أنطلق في حملة معادية مغرضة ومحرضة ، يتكهن ويتنبأ ويتباكى مصدقا نفسه ، على مصير الكمبوديين من «خطر استيلاء الشيوعيين» على السلطة في فنوم بنه . كانوا يولولون بعناوين ضخمة مثيرة ينبئون العالم بان فنوم بنه ستستفيق على حمامات دم بدخول الشيوعيين العاصمة .

وفي يوم تحرير فنوم بنه دخل الثوار العاصمة وارتفعت الاعلام البيضاء ونزلت الجماهير الى الشوارع تحي قوات التحرير الشعبية . وبكلمات مراسل الفارديان اللندنية ، بدت العاصمة كعروس تلبس الابيض لتستقبل الكمبوديين الحمر ، وقد القى الجنود الحكوميون سلاحهم ليمانقوا الثوار الذين رفعوهم معهم على النافلات للمشاركة في مسيرة النصر التي شهدتها العاصمة .

في خلال ٣٦ ساعة من بعد تحرير العاصمة فنوم بنه كانت خمس دول اسيوية ودولتان اوروبيتان واستراليا ، قد اعترفت بالحكومة الجديدة الثورية في كمبوديا ، وكانت ٧٠ دولة اخرى قد سبقتها بوقت طويل الى هذا الاعتراف ، وهي تدرك بان ارادة شعب كمبوديا لا بد وان تنتصر على كافة جهود الامبريالية الاميركية ، لفرض الارادة الاميركية في تقرير مصير هذا البلد الاسيوي الذي نقش « المرأبة » الاولى على مقبرة الامبريالية الاميركية في الهند ــ الصينية ، معززا بذلك امل شعوب العالم المضطهدة ، وطلائعها المناضلة ، في القدرة على المجابهة المنتصرة مع هذه القوة النازية الجديدة في العالم .

تعليق

المهزوم الاكبر

في اول تصريح له عندما بلغه نبا سقوط فنوم بنه في ايدي قوات التحرير الشعبية اعلن الامير سيهانوك يبشر شعوب العالم المضطهدة بتحرير كامل الوطن الكمبودي من فاول الرجعية العميلة ، وقائلا بان كمبوديا هي اول بلد يحقق الانتصار الكامل على الامبريالية الاميركية . ولم يكن في كلام رمز الشرعية الكمبودية ــ التي انتهكتها الولايات المتحدة قبل خمس سنوات ــ اي تبجح في غير محله . فالمنتصر الاكبر في تحرير كمبوديا اخيرا ، هو الشعب الكمبودي ، والمهزوم الاكبر هو الامبريالية الاميركية ، قبل ان يكون لون نول ، او لون نون او اونغ بوريت او غيرهم من عملاء كثر، ما كانوا سوى تلك الدمى التي تحركها اصابع واشنطن الغارقة في اوهام قدرة القوة العسكرية الاكثر تفوقا اللامحدودة ، تتصور بانها قادرة بالحقن المتواصل للدولارات لعملائها المحليين والتزويد المتواصل بالسلاح والذخائر الاميركية ، على كسر ارادة شعب بالانعتاق والتحرر الكاملين ، وتخطيط مستقبله بنفسه .

ان المنتصر الاكبر في كمبوديا هو الشعب الكمبودي ، والمهزوم الاكبر هو الامبريالية الاميركية بكل قوتها العاتية العسكرية والاقتصادية . ان نضال هذا الشعب الصغير والفقير على كافة المستويات ، قد رسم بارادته حدود هذه القوة الاميركية . فقد اظهر بالممارسة النضالية المتواصلة دون هوادة كيف يمكن لشعب صغير وفقير ومضطهد مسلوب الحق ان يقزم عدو تحرره الاقتصادي والاجتماعي والسياسي مهما تعملق هذا العدو .

لقد كانت بداية هزيمة الامبريالية الاميركية على يد الشعب الكمبودي ، خطا في الحساب . وتميزت مسيرة هذه الامبريالية نحو هزيمتها، بالاخطاء المتراكمة في حساباتها . ولكنها كلها كانت مرتبطة بخطا اساسي واضح . فهي لم تضع في حسابها ارادة الشعب بقيادة ثورية حكيمة غير مترددة ، كعامل حاسم في الصراع على مستقبل كمبوديا . لقد زرعت الامبريالية الاميركية القتل والدمار في كمبوديا ، تركت الاشقاء يقتلون الاشقاء ، لان فقط في ظل هذا الوضع المريض يمكن تحقيق مشروع نظام حكم استعماري جديد ، ليبقى و « يزدهر » (بالمفهوم الامبريالي الاميركي) وزرعت طلائع الشعب الكمبودي هذا الحب المتفاني للوطن، وهذا التوق الشعبي العارم للتحرر والتقدم ببناء المجتمع الحر العادل ، فقطفت الامبريالية الاميركية الهزيمة، وقطفت ثورة الكمبوديون الحمر هذا الانتصار الرائع الذي استعادت به حق شعب كمبوديا في تقرير مصيره بنفسه .

(....)

راصبحت قاذفات ب ــ ٥٢ الاميركية تعمل فوق كمبوديا ، قتلا وتدميرا ، تلحق السراب نفسه الذي كانت تلهث وراءه في جنوب فيتنام ، تامل في انتقام ، وتصبح غير قابلة للاحتواء .

لكن كل ما انفقته الولايات المتحدة على نظام لون نول ــ ويقدر بعشرات البلايين من الدولارات ــ لم يمنع من الانزلاق المضطرد للحكم العميل ، ومن التدهور الاقتصادي المضطرد في المناطق التي كانت تسيطر عليها قواته ، كما لم يمنع تراجع المضطرد للقوات الحكومية المرتزقة التي كانت تقاتل دفاعا عن نظام حكم فاسد وعاجز ، تتوضع لاوامر قيادة فاسدة تسرق اجورها البخسة، والمضاعفاتها من بزات عسكرية ومن مواد غذائية ، اغلبها مما كان يدفع الكمبودي للالتحاق بالقوات المسلحة ليضمن رغيف خبز له ولعائلته .

لقد دمرت الحرب الامبريالية الاميركية في كمبوديا المجتمع الكمبودي . ويكفي لقياس حجم هذه الجريمة الامبريالية ، ان نعرف بان عدد سكان كمبوديا كان ٥٠٠ الف نسمة ، تضخم الى مليوني نسمة ، بفعل سياسة الاقتلاع السكاني التي اتبعتها الولايات المتحدة هناك ، تطبق ذات تكتيكاتها في جنوب فيتنام ، بهدف حرمان السمك من بحر الجماهير . وان نعرف بان كمبوديا ، البلد المصدر لحتى الاطنان من الارز في السنة ، اصبح سكانه يتطرون على استيراد ارز « انكل بنز » الاميركي (!) لكما فعلت في جنوب فيتنام ، راحت الولايات المتحدة من بعدما اضطرارها الى الانسحاب العسكري من حكم لون نول وزمرته بالمال والسلاح ، لمواصلة حربها ضد الثورة . وظلت تقارير استخباراتها العسكرية تصبح بالتفاؤل ، وتدعو الى المزيد من المساعدات الاميركية لفنوم بنه ، على اساس ان هذه المساعدات هي الضمانة باستمرار القتال ، وان تحرير تدريجيا حتى نقطة قبولهم بالتفاوض مع الثوار من موقع الطرف الاضعف !

واشنطن غارقة في عملية خداع الذات حتى الهجوم الثوري الاخير قبل عدة اشهر ونجاح القوات الثورية في تحرير الجزء الاكبر من البلاد ، وفرض حصار محكم على العاصمة ، لم تنجح القوات الكمبودية في فتح ولو ثغرة فيه . واصبح مطار تلك المعارك الاخيرة الوحيد ، والذي شهد كانت تشحن الذخيرة والتزويدات ، في حملة لانقاذ نظام الحكم العميل . وخاض الرئيس الاميركي معاركه الشهيرة الخائبة مع الكونغرس لتحصيل الموافقة على مساعدات اضافية لكمبوديا. لان لزعم وادارته بان هذه المساعدات من شانها انقاذ الوضع ، بحجته بان المساعدات الاضافية ستطيل لحسابات ، ومصرا على الامعان في الخطأ في لقوة الحكم العميل على القتال وبالتالي انهاك الثورة الى درجة رضوخها وقبولها بالجلوس الى ردت الثوار المفاوضات . ولكن فشل القوات الحكومية في العاصمة والتدهور العام في فنوم بنه راح يدفع

اشنطن الى تنازل تلو الآخر . واصبحت الادارة الاميركية هي المتهافتة على وقف اطلاق النار والتوصل الى « تسوية » . ومن ثم اصبحت هي المتهافتة على اجراء اتصال بقيادة الثورة الكمبودية لاقناعها بالقبول بحكومة التلافية في فنوم يشارك فيها الثوار، على غرار الحكومة القائمة في لاوس . وكان من الطبيعي ان ترد القيادة الثورية على هذه «المبادرات السلمية » الاميركية بالرفض القاطع وبالسخرية اللازمة . فالعدو الاميركي كان يخوض بذلك مناوراته الاخيرة اليائسة لتحقيق ما من شانه منع تسلم الكمبوديين الحمر للسلطة الكاملة في كمبوديا .

وقد بدت الولايات المتحدة في حالة من اليأس « يرثى لها » ، في اللحظات الاخيرة التي سبقت سقوط فنوم بنه في ايدي الثوار ، عندما دعت الامير سيهانوك للعودة رئيسا لدولة كمبوديا ، بعدما فشلت مناورة استقالة لون نول ، وابعاده عن الساحة الكمبودية ، في استدراج الثوار المنتصرون